



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (5)

التاريخ : الخميس 13 - 4 - 1440 هـ

تفريغ الدرر الخامس من درر شرح الأصول الثلاثة

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أمّا بعد :

فهذا هو المجلس الخامس من شرح الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمة الله تعالى عليه.

كُنَّا قد انتهينا في آخر حصة من المقدمة التي قدّم بها الشيخ رحمه الله تعالى؛ وفي هذا المجلس سيبدأ الشيخ رحمه الله بالمقصود .

قال الشيخ -رحمه الله تعالى:-

[فإذا قيلَ لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟]

الأصول : جمع أصلٍ ، والأصل ما يُبنى عليه غيره ، ومنه أصل الشجرة ؛ وهي ما يتفرع منه الأغصان .

وهذه الأصول الثلاثة بُنيَ عليها دين الإسلام بالكامل.

قال الشيخ - رحمه الله -

[فقل : معرفة العبد ربّه ، ودينه ، ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم .]

سَبَقَ معنا في المقدمة الأولى التي قدّم بها الشيخ رحمه الله تعالى عند ذكرنا للمسائل الأربع الواجب تعلّمها ، والمذكورة في سورة العصر ، وذكرنا أنّ أولَ هذه المسائل : العلم ، وقلنا في العلم : هو معرفة العبد ربّه ودينه ونبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، وهي هذه الأصول الثلاثة التي سيذكرها المؤلف الآن .

الأصلُ الأول من هذه الأصول :

* هو معرفة العبد ربّه.

* والاصلُ الثاني هو معرفة دين الإسلام .

* والاصلُ الثالث هو معرفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكرها هناك مُجْملة ؛ والآن أوان التفصيل فيها ؛ وذكرنا هناك في الدرس الثاني أنّ مَعْرِفة العبد ربّه تكون بالأدلة العقلية والنقلية، وكذلك معرفة النبي صلى الله عليه وسلم تكون بالأدلة العقلية والنقلية ؛ وأمّا معرفة دين الاسلام فلا تكون إلّا بالأدلة النقلية؛ فلا مجال للعقل في معرفة دين الاسلام .

هذه الاصول الثلاثة - كما قلنا - باختصار هي أسئلة القبر الثلاثة : من ربك؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

وقد وردَ ذِكر هذه الأسئلة في حديث عند أبي داود وأصله عند مسلم، وهو حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه نورده نحن على طوله لأنّه أصل هذه الرسالة التي ألفها الشيخ محمد -رحمه الله تعالى -

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجلٍ من الأنصار؛ فانتهينا إلى القبر ولما يُلحد أي : ولم يخفروا اللحد بعد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنّ على رؤوسنا الطير أي: جلسوا ينتظرون إتمام الحفر وهم سكوت وفي سكون وفي يده أي : في يد النبي صلى الله عليه وسلم عودٌ ينكتُ في الأرض؛ فرفع رأسه أي - النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : [استعينوا بالله من عذاب القبر] مرتين أو ثلاثة ، وفي هذا إثبات لعذاب القبر ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

[إنّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأنّ وجوههم الشمس ومعهم كفّن من أكفان الجنة وحنوطٌ من حنوط الجنة ؛ حتى يجلسوا منه مدّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت -عليه السلام - حتّى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء] ، - هذه نفس العبد المؤمن جعلنا الله من عباده المؤمنين - فيأخذها ؛ فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها ، ويجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض - أي: رائحة طيبة - .

قال : فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له ، فيُفتح لهم ، فيشعّيه من كلّ سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة ؛ فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فأيتي منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى .

قال: فتعادُ روحه في جسده فيأتيه ملكان ؛ فيجلسانه في مكانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربّي الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول ديني الاسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . - وهذا هو الشاهد من الحديث - فيقولان له : وما علمك ؟ يعني كيف علمت هذا ؟ فيقول : قرأت كتاب الله عز وجل ؛ فأمنت به وصدقت .

فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنة ؛ - وفي هذا إثبات لتنعم أهل الجنة في قبورهم - .

قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويُفسّح له في قبره مد بصره ، ويأتيه رجلٌ حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيّب الريح فيقول : أبشر بالذي يَسُرُّك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير ، فيقول : أنا عمك الصالح ، فيقول : ربّ أقم الساعة ، ربّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

قال: وإنَّ العبدَ الكافر إذا كان في إنقطاعٍ من الدنيا واقبالٍ من الآخرة نزلَ إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح ، - والمسوح : جمع مسح وهو الثوب الخشن - ، فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله عز وجل وغضب قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، - كأنك تضع شوكة في صوف ثم تنزع هذا الشوك - ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح؛ فيخرج منها كأنّ من ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون على ملاء من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له ؛ فلا يُفتح له ثُمَّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : {لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ

الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ { فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فَتَطْرَحُ روحه طراحاً ثم قرأ : { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ }

فَتُعَاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول ها ها لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ها ها لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول ها ها لا أدري ، فَيُنَادِي منادٍ من السماء أَنْ كَذَبَ فَأَفْرَشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ ، وافتحوا له بابا الى النار ، فيأتيه من حرّها وسمومها وَيُضَيِّقُ عليه في قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، فيأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه قبيحُ الثياب مُنْتِنُ الريح فيقولُ : أبشر بالذي يَسُوءُكَ هذا يومك الذي كنت تُوعِدُ ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشرّ ، فيقول : أنا عَمَلُكَ الخبيث ، فيقول : رَبِّ لَا تَقَم الساعة .]

هذا الحديث هو أصل هذه الأصول الثلاثة ؛ فمن وفقه الله عز وجل ونجح في الإجابة فقد فاز ، ومن أخفق فذلك هو الخسران المبين، فإذا كانت هذه المسائل بهذه الأهمية فيجب علينا أن نتعلمها وأن نعتقدها ؛ فلا بُدَّ من تعلمها والعمل بها ودعوة الناس الى ذلك والصبر على ذلك كله عسى الله أن يُثَبِّتَنَا عِنْدَ السُّؤَالِ في قبورنا ، فأنت ترى عظيم أهميتها لذلك ركّز عليها الشيخ رحمه الله تعالى وأفردها بالتأليف ووضّحها لنا فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيراً .

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ - رحمه الله -

[فإذا قيلَ لك من ربك؟ فقل: ربي الذي ربّاني وربّي جميع العالمين بنعمه].

الآن المؤلف رحمه الله دخلَ في تفصيل القول في هذه الأصول بعد أن أورد لها مُجْمَلَةً؛ فإذا قيل لك يا عبد الله من ربك؟ وهذا السؤال واردٌ عليك في الدنيا وفي الآخرة فقل مُعْتَقِداً جازماً بلا شك: ربيّ الله .

وتربية الله لعباده معناها رعايته لهم ؛ فقد تكفّل الله بخلقهم ورزقهم وسائر أمورهم .

وتربية الله نوعان :

- تربية عامة : وهذه تشمل كلَّ أحدٍ، المسلم والكافر ، البر والفاجر ، تشمل الإنسان والحيوان ، وتشمل النبات وغير ذلك ؛ فإنَّ الله عزَّ وجل تكفَّل لكلِّ شيءٍ بخلقه ورزقه وتدبير أمره وهذه تربية دنيوية ، فإنَّ كلَّ مخلوقٍ نِعَمَ الله إليه واصله ، وهذا دليل عقليٌّ للاستدلالِ بأنَّ الله عزَّ وجل هو ربِّي .

النوع الثاني من التربية :

تربية خاصة : وهذه تشمل عبادَ الله المؤمنين وهي تربيةٌ دينية ، تربيتهم بالإيمان والعمل الصالح فهو الذي وفقهم ويسَّر الهدى لهم، قال تعالى : { **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** } وقد أشارَ الله عز وجل إلى نوعي التربية العامة والخاصة بقوله تعالى: { **قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** } . ففي قوله تعالى (**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ**) إشارةً إلى التربية العامة الشاملة ، وفي قوله : تعالى (**ثُمَّ هَدَى**) إشارةً إلى التربية الخاصة لِمَنْ أَرَادَ الله هدايتهم إلى طريق الخير .

ثُمَّ قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

[وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه] .

إقرارك بالربوبية لا يكفي ، لا بُدَّ من الإعتراف بالالوهية لله فلا يكفي أن تقول ربِّي الله الذي ربَّاني وربِّي جميع العالمين بنعمه ؛ لا بُدَّ كذلك أن تضيف إليها وهو معبودي ليس لي معبود سواه ، أي : عبادتي لله وحده لا لغيره ، وهذا هو توحيد الألوهية الذي هو نفسه توحيد -العبادة - فهذا الرب الذي ربَّاني وربِّي جميع العالمين بنعمه هو المُستحق للعبادة دون ما سواه لا من الملائكة ولا من الرُّسل ، لا من الأشجار ولا من الأحجار ؛ وهذا هو الفرق بين المُوحد والمُشرك .

المُوحد : يُوحِدُ الله عز وجل بربوبيته ويُقرُّ ويُوحد الله بالعبادة ، فلا يعبد مع الله أحدا ، ولا يشرك معه غيره .

والمُشرك : يُوحِدُ الله بربوبيته لكن في عبادته يعبد مع الله غيره ، فيعبد الأشجار والأحجار والقبور والصالحين ؛ وهذا لا ينفعه إقراره بربوبية الله وحده ولا يدخله ذلك في الاسلام كما لم ينفع

مشركي قريش ولم يدخلهم في الإسلام وكانوا من أهل النار خالدين فيها أبداً نسأل الله السلامة والعافية .

فالمُوحِدُ ليس له معبودٌ سوى الله عز وجل لا ملكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسل ، لا شجر ولا حجر .
والمؤلف رحمه الله ذكر توحيد الربوبية لإلزام الناس بتوحيد الألوهية ، فمن أقرَّ الله بالربوبية وأنَّ الله هو الخالقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ فعقلاً لا يحقُّ له أن يصرفَ العبادة لغير الله سبحانه وتعالى .

ثم قال - رحمه الله - :

[والدليل قوله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } .]

بعد أن ساق المؤلف رحمه الله الدليل العقلي أتى بالدليل النقلي، وهو قوله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } .

الحمدُ هو الثناء على المحمود مع مَحَبَّتِهِ وإجلاله .

(ال) في (الحمد) هي : (للاستغراق) ، أي : جميع المحامد لله ، فهو المُستحقُّ للحمدِ الكامل .

والشاهد من الآية قوله تعالى : { رَبِّ الْعَالَمِينَ } .

العالمين : جمع عالم، والله ربَّ كلِّ هذه العوالم .

أي : يربهم بنعمه، وهو خالقهم ومالكهم ومدبر أمورهم، قال الله تعالى { قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } .

ثم قال رحمه الله تعالى:

[وكل ما سوى الله عالم ، وأنا واحدٌ من ذلك العالم .]

العالم كُلُّ ما سوى الله سُمِّوا عالماً، لأنَّهم عَلِمُوا على خالقهم ومالكهم ومدبر أمورهم .

فأنا وأنت واحد من عالم الإنس ، والسموات عالم ، والأرض عالم ، والجنُّ عالم ، والملائكة عالم والأشجار عالم والحيوانات عالم ، عوالم في البرِّ والبحر وفي عالم السماء لا يعلمها إلا الله سبحانه

وتعالى الذي هو ربُّ كلِّ هذهِ العوالم ، ربِّ العالمين ، فكلَّ ما سِوَى اللهِ عالمٌ وهذهِ العوالم كلُّها ربَّها الله عزوجل بنعمه .

ثم قال - رحمه الله - :

[فإذا قيلَ لك بِمَ عرفت ربك ؟ فقل بآياته ومخلوقاته .]

الآن يريدُ الشيخ - رحمه الله - أن يأتيَ بالدليل ، ما دليلك على أن الله ربِّ العالمين ؟ الشيخ - رحمه الله تعالى - يحرصُ كثيراً على ذكرِ الدليل وسيدكر الأدلة التي بها عرفنا ربَّنَا .

فقال : عرفنا ربَّنَا بآياته ومخلوقاته .

والآياتُ : جمع آية وهي : العلامة على الشيء ، التي تدل عليه وتبينه .

وآيات الله على نوعين : كونية وشرعية .

فالآيات الكونية : هي المخلوقات كالليل والنهار والشمس والقمر .

أمَّا الآيات الشرعية : فهي الوحي الذي أنزله الله على رسوله .

المؤلف قال : بآياته ومخلوقاته مع أن الآيات تشمل المخلوقات ، فلماذا أضاف قوله : ومخلوقاته .

المؤلف رحمه الله قصد بقوله : عرفنا ربَّنَا بآياته ، أي : عرفناه بآياته الشرعية والكونية جميعاً لأنَّه قال بعدها : ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، وهذه آيات كونية .

ثم قال : - **ومخلوقاته** - مع أن هذه المذكورات مخلوقات ، الليل والنهار والشمس والقمر ، فيكونُ هذا من باب عطف الخاصِّ على العام لأنَّ كلَّ مخلوق آية ، وليس كلُّ آية مخلوقاً ؛ فالآيات أعمُّ من المخلوقات ، ومن فوائد هذا الأسلوب التنبيه على منزلة ما سيذكر .

قال - رحمه الله - :

[ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر .]

سميت آيات : الليل والنهار والشمس والقمر لأنَّها دلالاتٌ على خالقها سبحانه وتعالى .

قال أبو العتاهية :

فَيَا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهَ *** أَمْ كَيْفَ يَجْعَدُهُ الْجَاهِدُ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ *** تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

الليل بظلامه وسكونه دليلٌ على عظيم خلق الله سبحانه وتعالى، النهار بضوئه دليلٌ على وجود الله سبحانه وتعالى، تعاقب الليل والنهار بانتظام لمصلحة العباد دليلٌ على وجود الله تعالى وتسيير الله لذلك، وهذه الشمس الكوكب العظيم، السراج الوهاج، وهذا القمر الكوكب المنير، وفي هذه الآيات العظيمة مصالح كثيرة للناس، وللأشجار وللثمار وللبحار، في نظام دقيق لا يتخلف أحدٌ عن الآخر، وكذلك لمصالح العباد في تحديد المواقيت والآجال.

الحساب الشمس والحساب القمري فهما مصالح عظيمة للناس؛ لذلك استدلل الأعرابي كما مرَّ معنا على وجود الله بآياته الكونية.

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى -

[ومن مخلوقاته السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا]

سبع سماواتٍ بعضها فوق بعض، السَّمَاءُ الدُّنْيَا ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وفوق الجميع عرشُ الرحمن عز وجل، وكذلك الأرضون سبع طباق وكلٌّ من فيهنَّ وما بينهما من مخلوقات دوابٍ وجبال وأشجار وأحجار وبحار آيات من آيات الله عز وجل.

قال - رحمه الله تعالى -:

[وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }]

المؤلف رحمه الله يسوق الدليل على أنَّ هذه الأربع من آيات الله، أي: من علامات ربوبيته سبحانه وتعالى واستحقاقه العبادة دون ما سواه، وخصَّص هذه الأربعة بالذكر لعظمها، الشمس والقمر والليل والنهار وهذه من أبرز العلامات المُشاهدة التي يراها الناس، يأتي النهار بنوره، ويذهب الليل بظلامه، يطول النهار ويقصر الليل والعكس في نظام بديع متكامل يدلُّ على أنَّ له مُدَبِّرٌ حكيم.

هذه المخلوقات مع - عِظْمِهَا - لا تسجدوا لها، أي: لا تعبدوها.

وفي قوله : (**لَا تَسْجُدُوا**) إشارة الى أَنَّ السُّجُودَ من أعظم انواع العبادة ، والسَّجُودُ وضع الجبهة على الأرض خضوعاً وتذلاً للمعبود، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ** " وهذا الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

لأنَّ وجهك وهو أعزُّ ما تملك وضعتُهُ على الأرض إجلالاً وتعظيماً لله عز وجل .

فهذه الآيات مخلوقةٌ مثلكم وخالقها هو الله عز وجل فلا تَعْبُدُوهَا ولكن اعبدوا خالقها وهو الله سبحانه وتعالى، وقد وُجِدَ من عبد هذه المخلوقات نسأل الله السلامة والعافية .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

[وقوله تعالى : { **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** }]

فيه دليلٌ على أَنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق السماوات والأرض .

وقوله تعالى : (**إِنْ رَبَّكُمْ**) أي: خالقكم ومعبودكم .

وقوله تعالى: الذي خلق السماوات والأرض في سِتَّةِ أَيَّامٍ، فهذه المخلوقات العظيمة خلقها الله عزَّ وجل في سِتَّةِ أَيَّامٍ مع أَنَّ عزَّ وجل قادرٌ على خلقها في لحظة ، قال تعالى : { **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** } ، لكنَّهُ سُبْحَانَهُ وتعالى خلقها في سِتَّةِ أَيَّامٍ لحكمةٍ يعلمه هو سبحانه وتعالى، وفي هذا تعليمٌ مِنَ الله لعبادهِ الأناة وعدم العجلة .

ثم استوى على العرش .

استوى : أي : ارتفع وعلا ، وهذا العُلُوُّ والارتفاع خاصٌّ بالله عز وجل كما يليقُ بعظمته وجلاله .

والعرش: أعظمُ المخلوقات وأعلاها، تحمله الملائكة وهو سرير الملك.

يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ، يُغْطِي أَحَدَهُمَا الْآخَرَ فَيَتَعَاقَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

يطلبه حثيثا : أي : مباشرة بلا تأخر، إذا ذهب النهار جاء الليل بعده بلا تأخر ، وإذا ذهب الليل جاء النهار بلا تأخر .

والشمس والقمر والنجوم **مسخرات بأمره**، أي: مذللات لمصالح العباد بأمره .

ألا له الخلق والأمر: أي: له الخلق وحده سبحانه وتعالى، إذا أراد فلا يشاركه فيه أحد.

والأمر هو كلامه سبحانه وتعالى ، **وينقسم إلى قسمين :**

أمر كوني : وهو قضاءه وقدره في الكون، يأمر المخلوقات فتطيعه سبحانه وتعالى، قال الله تعالى : { **ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** } ، وقوله تعالى : { **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** } .

أما الأمر الشرعي : فهو وحيه المنزل الذي يأمر به عباده بعبادته، ويدخل فيه الأوامر والنواهي التي في القرآن والسنة .

فإذا كان لله الخلق وله الأمر فما بقي لغيره سبحانه وتعالى ، لم يبق شيء لغيره تعالى .

تبارك الله رب العالمين ، أي: تعاضم الله رب العالمين .

ففي الآية إلزام بتوحيد الألوهية - توحيد العبادة - بإقرارهم واعترافهم بتوحيد الربوبية .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

[والرَّبُّ هو المعبود]

أي: المستحق للعبادة، فلا يستحقها غيره ؛ فليس كل من عُبد رب .

فإذا أقررت يا عبد الله بأنَّ الرَّبَّ هو الله يلزمك أن تقرَّ بأنَّه هو المعبود وأنَّ غيره لا يستحق من العبادة شيئا .

قال رحمه الله :

(والدليل) : أي: والدليل على أَنَّ الربَّ هو المعبود .

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ
الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

هذه الآية كما مر معنا هي في بداية سورة البقرة وقلنا بأن فيها أول نداءٍ وأول أمرٍ : هو أمر
بالتوحيد

وأول نهي : وهو نهي عن الشرك .

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) نداءٌ للجميع مؤمنين ، وكفار ، ومنافقين ،

لأنَّ الله تعالى قبل هذه الآية قَسَمَ النَّاسَ إلى ثلاثة أصناف:

مُؤْمِنُونَ : وهؤلاء الذين يؤمنون بالغيب ويؤمنون باليوم الآخر ووصفهم الله تعالى بأنهم مفلحون .

وكفار : أظهروا الكفر والعناد.

ومنافقون : ليسوا مع الكفار ، وليسوا مع المؤمنين؛ فهم مؤمنون في الظاهر كقار في الباطن ؛ وهم
شرُّ من الكفار المجاهرين بكفرهم .

فبعد أن انتهى الله سبحانه وتعالى من ذكر هذه الأصناف الثلاثة وذكر بعض أوصافهم جاء النداء
بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وهذا النداء يشمل ما سبق: مؤمنين ، وكفار ، ومنافقين .

وقوله تعالى : (اعْبُدُوا رَبَّكُم) فعل أمرٍ، أي: أخلصوا له العبادة لأنَّه ربُّكم.

(الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) أي: لأجل أنَّه خلقكم وخلق من قبلكم فيلزم أن نعبد وحده .

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) : أي: لكي تتقوا عذابي وتتقون النَّار.

ثم واصل الاستدلال على ربوبيته وعبوديته ليلزمهم بعبادته وحده سبحانه وتعالى فقال :

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا) : أي: بساطا.

(وَالسَّمَاءَ بِنَاءً): أي: سُقُفًا.

(وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً): أي: من العلو من السحاب .

(فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) : أي: لا تجعلوا لهذا الذي خلقكم ، وخلق مَنْ قبلكم ، والذي جعل لكم الأرض فراشا ، والسماء بناءا ، وأنزل لكم من السماء ماءا ؛ لا تجعلوا له أندادا .

والأندادُ: جمع ندٍّ وهو المثل والنظير، فلا تجعلوا لله أندادا تعبدونها مع الله عز وجل .

(وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ): أي: تعلمون أنه لا ندَّ له وأنه بيده الخلق والرزق والتدبير.

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

(قال ابن كثير. رحمه الله تعالى .: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة)

ابنُ كثير هو : هو عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير الحافظ المشهور صاحب التفسير وتلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى توفي سنة ٧٧٤ للهجرة .

أمّا كلامه رحمه الله فهو واضح وفيه إلزام الناس بتوحيد الألوهية بتوحيد الربوبية؛ فمن أقرَّ بتوحيد الربوبية لزمه الإقرار بتوحيد الألوهية ولابدَّ .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

(وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام ، والإيمان ، والإحسان)

لَمَّا بَيَّنَّ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّنَا وَرَبُّ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمَعْبُودُ ، وَأَنَّ الْخَالِقَ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِآيَةِ الْبَقَرَةِ وَبَيَّنَّ كَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَخْلُقْنَا سُدى وَلَمْ يَتْرُكْنَا هُمَلًا، بَلْ خَلَقَنَا لَغَايَةٍ جَلِيلَةٍ وَأَمْرٍ عَظِيمٍ أَلَا وَهُوَ عِبَادَتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاللَّهُ تَعَالَى أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَمَرَنَا كَذَلِكَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْعِبَادَةُ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لِأَحَدٍ مَعَهُ فِيهَا ، بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ نَاسِبٌ أَنْ يُبَيَّنَّ لَنَا أَنْوَاعَ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الَّتِي تَجِبُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَلَا يَجُوزُ صَرْفُهَا لِغَيْرِهِ ، وَالْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ فِيهَا شَيْئًا ،

وسبق أن عرّفنا العبادة وقلنا هي في اللغة: الخضوع والتذلل .

يُقَالُ : طريق معبّد أي مُذَلَّل .

وأما في الشرع : فهي كما عرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله تعالى . : (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) .

قوله : (اسم جامع) : أي : يجمع أشياء كثيرة ؛ هذه الأشياء الكثيرة هي كلّ ما يحبه الله ويرضاه ؛ فإذا أمرك الله عزّ وجل بشيء فاعلم أنّ الله يحبه ويرضاه ، وإذا نهاك عن شيء فاعلم أنّ الله سبحانه وتعالى يحب منك أن لا تقترب منه .

والعبادات حَسَبَ التعريف أقوال وأعمال : فالعبادات :

إمّا أن تكون قولية ،

وإمّا أن تكون عملية ؛

هذه العبادات القولية أو العملية إمّا أن تكون :

ظاهرة : أي ظاهرة على جوارح العبد أي : على أعضاءه

وإمّا أن تكون باطنة : أي بالقلب .

قد يكون القول : ظاهراً ، وقد يكون باطناً ، وقد يكون العمل : ظاهراً ، وقد يكون العمل باطناً .

قول اللسان : أعمال كثيرة ممّا أمر الله عز وجل بها مثل الذكر وتلاوة القرآن .

قول القلب : هو نيته وقصده .

وأما بالنسبة للعمل :

عمل القلب : كالتوكل .

وعمل الجوارح كالصلاة ، والصيام ، وغيرها .

وعبودية الناس لربّ العالمين تنقسم إلى قسمين عامة وخاصة :

فالعبودية العامة : تشمل الجميع الكافر والمسلم البرّ والفاجر ؛ قال الله تعالى : (**إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي**

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) ؛ وهذه عبودية قهراً ، وتصرفاً ، وتذليلاً .

وأما العبودية الخاصة : هذه خاصة بعباد الله المؤمنين ، قال الله تعالى : (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) ، وقال تعالى : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) ، وهذه عبودية الطاعة والتقرب إلى الله بالتوحيد

والمؤلف رحمه الله تعالى أعطانا ضابطاً للعبادة ؟ وهو كل ما أمرنا الله به لأنه قال : (أنواع العبادات التي أمر الله بها) : فالعبادة تُطلق على جميع ما أمر الله به على وجه اللزوم أو الاستحباب وعلى جميع ما نهى الله عنه على وجه التحريم أو الكراهة ؛ وعليه فالعبادة هي : الأوامر ، والنواهي .

ومن شروط قبول هذه العبادة :

- **الإخلاص** : أن تكون عبادتك خالصة لله وحده لا شريك له فيها .
- **المتابعة** : أن تكون في هذه العبادة متبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم .

والشيخ رحمه الله جعل الإسلام ، والإيمان ، والإحسان من أنواع العبادة ؛ مع أنها مراتب ومجموعات تضم وترجع إليها العبادات الأخرى ؛ هذه الثلاث هي الدين كله كما مر معنا ؛ وهي مذكورة في حديث جبريل الطويل . الذي سيأتي إن شاء الله في موضعه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في آخره : (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) فسَمِيَ هذه الثلاث ديناً ؛ ونذكرها على وجه الإيجاز وسيأتي تفصيلها إن شاء الله :

سبق وأن عرفنا الإسلام وقلنا : هو في اللغة : الاستسلام ،

وفي الشرع : هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله .

وأركانه خمسة شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً .

أما بالنسبة للإيمان ففي اللغة : هو التصديق .

وفي الشرع : هو قول باللسان ، واعتقاداً بالجنان ، وعمل بالأركان ، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بمعصية الرحمن .

وأركانه ستّة : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره
وأما الإحسان : فهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهذا أعلى مقامات
أنواع العبادة .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى:

(ومنه الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة ، والرغبة ، والخشوع ،
والخشية ، والإنابة ، والاستعانة ، والاستعاذة ، والاستغاثة ، والذبح ، والندب ، وغير
ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلّها) .

ذكر المؤلف . رحمه الله تعالى . هنا جملة من العبادات عددها أربعة عشر نوعا من العبادة عدا
الإسلام ، والإيمان ، والإحسان وذكرها هنا إجمالا وسيبدأ بتفصيلها مع ذكر أدلتها ، والشيخ رحمه
الله أورد هذه الأمثلة للعبادة من باب التمثيل لا الحصر ؛ لأنّ العبادات كثيرة وكثيرة جداً لكنّ
الناس غالباً ما يقعون في الشرك بالله تعالى في هذه المذكورات ، وبدأ بالدعاء لأنّ الإشراك فيه
أكثر .

والمؤلف رحمه الله تعالى أراد أن يشمل بالتمثيل أقسام العبادات كلّها ، فبعض هذه العبادات
التي ذكرها . رحمه الله تعالى . أقوال ، وبعضها أعمال ، وبعضها ظاهر ، وبعضها باطن ، وسيأتي
تفصيلها بإذن الله تعالى .

قال رحمه الله تعالى :

(والدليل قوله تعالى : {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} .

المساجد مرّ معنا وقلنا بأنّها تُطلق ويُرادُّ بها هذه المساجد المُعدّة للصلاة . الجوامع . ، ويُرادُّ بها
كذلك أعضاء السجود السبعة وتطلق على الأرض كلّها . هذه المساجد ملكٌ لله تعالى ، (فَلَا تَدْعُوا
مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) : لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة .

فإذا حُمِلَ معنى الدعاء في الآية على معنى دعاء العبادة فيكون معنى الآية : { فَلَا تَعْبُدُوا مَعَ اللَّهِ
أَحَدًا } .

وإذا حُمِلَ على دعاء المسألة فيكون معنى الآية : فلا تسألوا على وجه التعبد أحدا.

والمعنيَّ مُحْتَمَلِينَ لِأَنَّهُ لَا يَوْجَدُ عِنْدَنَا قَرِينَةً نَرْجِّحُ بِهَا أَحَدَ الْمَعْنِيِّينَ عَنِ الْآخَرِ؛ فَلَوْ حَمَلْنَا مَعْنَى الدَّعَاءِ فِي الْآيَةِ عَلَى دُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ فَقَطْ لَكَانَ تَحْكَمًا بِغَيْرِ دَلِيلٍ .

ووجهُ الدلالة من الآية على أَنَّ العبادة حقٌّ خالصٌ لله تعالى ظاهرٌ في النهي الوارد في الآية :

(فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) : ف (أَحَدًا) : هنا نكرة في سياق النهي الذي هو (فلا تدعوا) وقلنا سابقا بأنَّ النكرة في سياق النهي تفيد العموم، فهي تشمل كلَّ أحدٍ ولو كان ملكًا مُقَرَّبًا أو نبيًّا مُرْسَلًا ، والنهي عن الشيء أمرٌ بضده وهو: اعبدوا الله وحده وأفردوه بالعبادة .

ثُمَّ قَالَ . رحمه الله تعالى .:

(فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ) :

فإنَّ من صرف أو توجه بأيِّ نوع من أنواع هذه العبادة شيئًا ولو قلَّ لغير الله أيًّا كان هذا المُشْرِكُ فهو مُشْرِكٌ كافرٌ لأنَّه عبد مع الله غير الله ؛ والله سبحانه وتعالى أمرنا بعبادته وأمرنا في هذه العبادة أن تكون خالصةً له وحده لا شريكَ له فيها .

ثُمَّ قَالَ رحمه الله :

[والدليلُ قوله تعالى : { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }]

(وَمَنْ يَدْعُ) : أي من يعبد ، ومن يسأل غير الله مع الله ؛ فهي تشمل دعاء عبادة ، ودعاء مسألة.

(لَا بُرْهَانَ لَهُ) : هذه صفة، كاشفة مبيِّنة لواقع من يدعو مع الله إلها آخر.

وفي هذه الآية حَكَمُ الله على من يدعو مع الله إلها آخر بالكفر ؛ (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) .

والشيخ رحمه الله جاء بهذه الآية وبما قبلها ليستدل على أنَّ كل من جعل نصيباً من العبادة لغير الله فهو مشركٌ كافر ، هذا والعلمُ عند الله تعالى.

نكتفي بهذا القدر ، وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهدُ أن لا إله إلا أنت استغفرُك وأتوبُ إليك.